

هذه الحركة التي أخذت تضم عشرات الملايين من المكافحين من أجل السلم والتحرر الاجتماعي والوطني ، والى أي حد أصبح السلم سلاحا ماضيا تتسلح به الشعوب في كفاحها وتشمل به تطاولات أعدائها .

هذه العوامل مجتمعة ، تعاضم قوة المعسكر الاشتراكي ، والطبقة العاملة العالمية ، وكفاح البلدان الوطنية وحركات التحرر ، والتناقض بين الدول الرأسمالية ، واتساع المشاركة النشطة لجماهير غفيرة في النضال ، وتزايد حجم ونفوذ حركة السلم العالمية ، كل هذا ألجم تجار الحروب واضطرمم للتراجع . وليس في ذهن أحد بطبيعة الحال أن يتوهم حدوث تغير في طبيعة النظام الرأسمالي من جراء هذا التراجع ، ولا الإيحاء بأن قضية السلم أصبحت مضمونة ولا يتهدهدها الخطر بعد الآن ، ولكن ليس من الصواب أيضا التقليل من أهمية ما استطاع النضال الدؤوب من تحقيقه في هذا المجال . فبفضل هذا النضال العنيد وما رافقته من نهوض ونمو في القدرة ، أمكن فرض التراجع على الامبريالية واجبارها على الاخذ بعين الاعتبار حقائق العصر الجديدة . ان الزمن الذي كانت فيه الامبريالية تقرر مصير العالم قد ولى .

وهكذا انهارت سياسة الحرب الباردة وانتصرت ارادة السلام ، وتعمقت أزمة النظام الرأسمالي أكثر من ذي قبل . فالعرب الباردة التي طبعت العالم بطابعها خلال عقدين من السنين بعد الحرب العالمية الثانية قد باءت بالفشل . والاقتصاد الرأسمالي الذي وجد متنفسا في جو الحرب وسباق التسلح ، بات عليه أن يتخلى عن وتائر انتاجه وأرباحه العالمية بعد أن تقلصت عنه العطاءات الحربية في ظل وضع الانفراج الجديد الذي أخذ يحل محل الحرب الباردة . فقد خفضت شركات مثل بوينج ولوكهيد وجنرال دينامكس حجم التشغيل فيها بنسبة ٥٠ ٪ ، كما ان شركات أخرى مرتبطة كليا بالانتاج الحربي أخذت تفلس نتيجة عدم القدرة على الصمود ، ومنها مثلا شركة ( بن سنترال ) التي يبلغ رأسمالها العامل ٧ مليارات دولار (٢٢) .

لقد عبر الكثيرون من رجال الدولة والفكر عن هذه الحالة الجديدة التي تمر بها الرأسمالية . فالعالم الالمانى ستيرنبرغ أشار الى انه « سيكون من الصعب على الرأسمالية ان تعيش في عام ٢٠٠٠ » (٢٣) . كذلك صرح تشير باولز رجل الدولة الامريكى قائلا « منذ عشر سنوات لم يتغير ميزان القوى السياسى والاقتصادى لصالحنا ، فالاقتصاد السوفياتى يتطور بوتيرة أعلى » (٢٤) .

وفي رسالته للكونغرس أشار نيكسون في حديثه عن المتغيرات في المجال العالمى الى « نهاية التفوق الذى لم يكن يناع في القوة الاستراتيجية الامركية ، وبروز ميزان استراتيجى نووى جديد يحتل فيه كل من الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة نسباً متقاربة » (٢٥) .

ان نكسون في رسالته لم يكن صريحا بالقدر المطلوب ، فهو لم يشر الى حقيقة المتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية على النطاقين المحلى والعالمى ، ولا الى دوافعها وأسبابها والنتائج المترتبة عليها . انه اكتفى بحصر المتغيرات في القسوة الاستراتيجية الامركية التي اصبحت بنسب متقاربة مع الاتحاد السوفياتى بعد ان كانت تتبغ بالتفوق المطلق ، أي ان توازن الذعر النووي هو الذى فرض الاتجاهات الجديدة في السياسة الامركية . وهذا ليس حقا .

ان توازن الذعر النووي هو أحد الكوابح ضد الحرب بلا شك ، ولكنه ليس الكابح الرئيسى ولا الوحيد . ان تنامي القدرة في شتى المجالات والوجه لدى المعسكر الاشتراكي بالدرجة الاولى ، وكل العوامل والمتغيرات التي سبق ذكرها ، هي التي